صفي الدين الحلي

حياته – شعره – نثره

اعداد

سجاد كامل جاسم

كلية التربية المفتوحة

اشراف

الاستاذ الدكتور صدام الاسدي

٢٠١٥/١١/٢١ م

المقدمة

ربما لا اغالي اذا قلت بان الكثيرين ممن يهتمون بالفن عموما ، و تحديدا بالغناء العربي الاصيل منهم عشاق المقام العراقي ، لابد انهم سمعوا مغن يصدح بهذه الابيات الشعرية .

يا ضعيف الجفون اضعفت قلبا كان قبل الهوى قويا مليا

لا تحارب بناظريك فؤادي فضعيفان يغلبان قويا

و من المحتمل جدا ، انهم سمعوا و لو لمرة واحدة موسيقار العرب الاكبر محمد عبد الوهاب يشدو بهذه القصيدة الحوارية الرائعة :

قالت : اكلحت الجفون بالوسن قلت : ارتقابا لطيفك الحسن

قالت : تسليت بعد فرقتنا فقلت : عن مسكني و عن سكني

قالت : تشاغلت عن محبتنا قلت : بفرط البكاء و الحزن

قالت : تناسيت قلت عافيتي قالت : تناءيت قلت عن وطني

قالت : تخصصت دون صحبتنا فقلت : بالغبن فيك و الغبن

قالت : اذعت الاسرار؟ قلت لها صير سري هواك كالعلن

قالت : سررت الاعداء ؟ قلت لها ذلك شيء لو شئت لم يكن

قالت : فماذا تروم ؟ قلت لها ساعة سعد بالوصل تسعدني

قالت : فعين الرقيب تنظرنا قلت فاني للعين لم ابن

انحلتني بالصدود منك فلو ترصدتني المنون لم ترني[1]

و لكنهم لا يدرون ان قائل هذه الكلمات الشفافة ، و العذبة المذاق ، رجل شاعر مرهف الاحساس و المشاعر يمتلك قلبا كبيرا و عقلا متوقدا ذكاء و نباهة ، و ذو خلق دمث يتعايش مع العامة من الناس حينا و مع الخاصة احيانا اخر .

هذا الرجل يفصل بين سني حياته التي عاشها ، و بين وقتنا الحاضر بون شاسع من السنين يبلغ المئات ! الا و هو الشاعر صفي الدين الحلي ، و بالنسبة لي شخصيا انظر الى الثقافة على انها ملك مشاع للناس جميعا و هي لا غنى للانسان عنها تمام كالطعام و الشراب و الملبس و المسكن و غير ذلك من ضرويات الحياة ، فمثلما نأكل لنعيش ، ينبغي ان نطعم عقولنا كل يوم بما لذ و طاب من ثمار المعرفة ، كيما نضمن حياتها و نموها ، فالانسان بلا معرفة في تقديري .

كالسائمة سيان ، و اجدني تواقا لتذوق المعارف عموما و لكنني شغوب بتعلم الادب على وجه التخصيص ، و حصرا الشعر ، و كنت قبل انخراطي في سلك الكلية التربوية اعوم بلا بوصلة ، و لكن صرت بعد دخولي معتركها اتعلم بطريقة منظمة ، و استطيع ما يفيدني ليس في مجال اختصاصي فحسب و انما لتمديد مساراتي المستقبلية .

و تناغما مع تطلعاتي اثرت اختيار موضوع بحثي عن صفي الدين الحلي الشاعر الفارس و الامير اذا جاز القول :

[1] - انظر : ديوان صفي الدين الحلي ، صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص٣٤٥ .

ان هذا الشاعر جوهرة غمرتها وحول الايام الخالية ، و لكن الجواهر تبقى كما هي على مر الدهور و ان داستها ارجل الخنازير .

لقد بذلت قصارى جهدي رغم ندرة المصادر التي تناولت حياة الصفي و تمكنت بفضل الله و عونه ان استقي معلومات موثقة عن حياة الشاعر و شعره و نثره سيطلع القاريء الكريم ، و لا ازعم انني نلت مأربي و لكنها محاولة اعتبرها جريئة لتقصي حقيقة شاعر كبير كالحلي ، لعلها ستكون ومضة شافية ، قد تنبه من هو اكثر قدرة ، و اكفأ تأهيلا مني لتناول هذا الموضوع الخطير عن هذا الشاعر المجيد ...

تمهيد و تعريف بالشاعر :

شاعر بالمعنى الحرفي للمفردة ، عاش في مدينة الحلة في العراق ، ملأت شهرته الافاق و صار في زمانه مركز اهتمام الخاصة و العامة على حد سواء عكس لنا شعره الكيفية التي كانت عليها حياته منذ الولادة و حتى الوفاة تلك الحياة المفعمة بالطموح و الانفة و الثقة العالية بالنفس غير ابهة بما يعترضها من منغصات لا يعدمها كل عظيم على مر الزمن [٢]

و ذلك هو صفي الدين الحلي ، و هذه بطاقته الشخصية :

[٢] - انظر : شعر صفي الدين الحلي ، جواد احمد علوش ، ط١ ، بغداد مكتبة المعارف ، ١٩٥٩م ، من المقدمة ص٨ .
و ديوان صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق الطباع ، ط١ ، دار الارقم ، ص١٩-٢٠ بتصرف .

الاسم الكامل : عبد العزيز بن سرايا بن ابي القاسم بن حمد بن نصير بن ابي العز بن سرايا بن باتي بن عبد الله بن العريض السنسبي الطائي [٣] .

الكنية : ابو الفضل .

اللقب : صفي الدين ، و يلقب كذلك بالحلي نسبة الى مدينة الحلة التي انجبته .

سنة التولد : الخامس من ربيع الاخر سبع و سبعين و ستمائة للهجرة النبوية الشريفة الموافق السادس و العشرين من اب – اغسطس سنة ثماني و عشرين و مائتين و الف ميلادية .

سنة الوفاة : خمسين بعد المائة السابعة للهجرة المصادف سنة تسع و اربعين و ثلاثمائة بعد الالف للميلاد [٤] باجماع كل من ترجم له و كتب عنه من المتقدمين و المتأخرين ، كجمال الدين ابي المحاسن في النجوم الزاهرة و المنهل الصافي و صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات و اعيان العصر ، و ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات و ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة .

نبذة عن حياة الشاعر :

كان الشاعر صفي الدين متميزا بالفرادة في عصره ، ان لم يكن كذلك في سائر عصور الادب العربي ، تلونت موائده و تنوعت صحافة صحونه في جوانب شخصية كان فذا

---

[٣] - www.alshia.com htm/lara/ahl/index/php? Mod =shoora@sid /
و شعر صفي الدين الحلي ، جواد احمد علوش ، ص٤٧ .
احلى ٢٠ قصيدة حب ، فاروق شوشة ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ١٩٧٩ ، ص١٧٣ .

[٤] - شعر صفي الدين الحلي ، جواد احمد علوش ، ص٨ .
نوابغ الفكر العربي ، الدكتور محمود رزق سليم ، دا المعارف بمصر ، ط٢ ، ص١٩ .
www.al-shia.com htm – 5k – 522 g/3 ra shoaara – her masha/new/books/ara/htm/

مجيدا ، و كان الى هذا فارسا مشهودا له في ميادين الحرب و القتال[٥] ، اولع بنظم الشعر منذ شب عن طوقه ، و اخذ على نفسه الا يمدح كريما ، و الا يهجو لئيما[٦] . و شعره قوي السبك ، رائق الديباجة لم يخط فيه الى العامي و المبتذل شأن شعراء ذلك العهد[٧] ، ((روى ابن حجر العسقلاني ان صفي الدين تعانى صناعة الادب فمهر في فنون الشعر كله ، و تعلم البيات و صنف فيها))[٨] ، ((و روى مثل ذلك عن الصلاح الصفدي و غيره))[٩] ، قال صفي الدين في مقدمة ديوانه ((... و بعد فاني كنت قبل ان اشب عن الطوق ، و اعلم ما دواعي الشوق ، لهجا بالشعر نظما و حفظا ، متقنا علومه معنى و لفظا))[١٠] .

((كان لاسرة الصفي الرئاسة في الحلة ، و كان خاله (صفي الدين بن حمزة بن محاسن) (صدرا) فيها و حين احتل النظام و اضطرب الامن في العراق في اواخر ايام السلطان (غازان) استطاع ال ابي الفضل ان يقتلوا الصدر غدرا بمسجده ، و كان هذا العمل نازلة كبيرة حلت بال الصفي و صار الصفي يترقب اليوم الذي يثأر فيه لخاله ، يحرض اخواله و اقاربه على النهوض بأخذ ثأرهم [١١] .

((و اخيرا وقعت الواقعة ، تلك هي وقعة الزوراء التي وقعت في ارض قفراء قرب بغداد و قد خاضها الصفي فابلى بلاء حسنا ، و قتل من اعدائه الفرسان الشجعان ، قال في ذلك :

---

[٥] - ديوان صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق ، ط١، ص٥ – احلى ٢٠ قصيدة فاروق شوشة ، ص١٧٤ .
[٦] - ديوان صفي الدين الحلي ، دار صادر للطباعة و النشر ، ص١٩٦٢م .
[٧] - من مقدمة بقلم كرم البستاني ، ديوان الشاعر ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٢م ، ص٧ .
[٨] - الدرر الكامنة ، ابن حجر العسقلاني .
[٩] - نوابغ الفكر العربي ، د. محمود رزق ، ط٢ ، ص١٩ .
[١٠] - المصدر نفسه ، جواد علوش ، ص٥٢ .
[١١] - كتاب : شعر صفي الدين ، جواد احمد علوش ، ص٥٠ .

سلي الرماح العوالي عن معالينا و استشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

يا يوم وقعة زوراء العراق و قد دنا الاعادي كما كانوا يدينونا

و لكن الصفي بعد هذا كله اصبح مطالبا بدماء كثيرة ، فلم يجد بدا من الرحيل عن العراق مغادر وطنه سنة (٧٠١ هـ) الى (ماردين) و لسان حاله يقول[١٢] :

كل الذين غشوا الوقيعة قتلوا ما فاز منهم سالما الا انا

ليس الفرار علي عار بعدما شهدوا ببأس يوم مشتبك القنا

لقد لقي الصفي في ماردين من الحفاوة ما لم يكن يحلم به ! اجل ، فقد كان يسمع من القائلين بهؤلاء الملوك من ال ارتق ، و يروى الاحاديث الطوال عن جودهم و اخلاقهم فكان يتمنى زيارتهم ، حتى اذا اضطر الى ذلك و دخل حماهم رأى منهم اكثر مما سمع فأرتاح عندهم ، و اطمأن قلبه و صار يتمتع بحياة ناعمة ، حتى تبدل خوفه امنا ، و جوعه شبعا[١٣] .

به تناسيت ما لاقيت من تعب و لذة الشبع تنسي شدة السغب

بادرته و عقاب الهم يطردني و اليوم عاد كالعنقاء في الهرب

((ماردين مدينة ذات قلعة حصينة تقع على قمة جبل في الجزيرة ، و قد لعبت دورا عظيما في الاسلام في القرن السادس و السابع و الثامن للهجرة)) .

---

[١٢] - شهر صفي الدين الحلي ، جواد احمد علوش ، ص٥٤ .
[١٣] - المصدر نفسه ، ص٥٦ .

فكانت عاصمة لمملكة اسلامية قوية ، و كانت تحكم مساحات واسعة امتدت الى الموصل و حلب ، و استطاعت ان ترد هجمات الافرنج مرات عديدة و تتوغل في اراضيهم [١٤] .

و كان الصفي كثير الارتحال دائب الانتقال و كان يتعاطى بالتجارة طلبا للرزق و يتجول بسببها ما بين حلب و الشام و مصر و ماردين و غيرها و يرجع لبلده[١٥] .

و الدارس لسيرة صفي الدين الحلي و شعره يقف من خلالها على مرتكزات خلقه و مزاجه و طبعه من ناحية و جوانب شاعرية من ناحية ثانية [١٦] فكان يتمتع باكرم الصفات و اعظم السجايا ، و لا عجب فهو ابن قوم كرام ذو مجد عريق [١٧] :

انا لقوم ابت اخلاقنا شرفا ان نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا

المبحث الاول

شعر صفي الدين الحلي

بعد المسح الميداني جدا و المختصر من خلال ما امكن قنصه من المصادر الغزيرة التي تناولت حياة هذا الشاعر المبدع ، ننتقل الى الخوض في غمار موضوع شعر صفي الدين الحلي ، و الاغراض المتشعبة التي طرقها منذ الخيوط الاولى التي كشفت عن امكاناته الكبيرة في سني عمره الاول ، و تماشيا مع مسيرة حياته الشعرية الطويلة و حتى وفاته و انطفاء تلك الشعلة الوهاجة في سماء الادب وقتذاك ، لقد حوى ديوان الصفي كل ما دار في عقله المتوقد و ما سنحت الفرصة ، التعبير عنه شعرا او نثرا ، و كان ذلك في

[١٤] - الحوادث الجامعة ، ص٣٣٠ ، من المصدر السابق نفسه .
[١٥] - نوابغ الفكر العربي ، صفي الدين الحلي ، د. محود رزق سليم ، دار المعارف بمصر ، ص٢٣ .
[١٦] - ديوان صفي الدين الحلي ، صفي الدين الحلي ، الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٨ .
[١٧] - شعر صفي الدين الحلي ، رسالة ماجستير ، جواد احمد علوش ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص٧١ .

موضوعات متباينة ، و لابد للباحث من طرق تلك المجالات كافة ، و التي تناولها شاعرنا الكبير ، ليطلع عليها من لم تسنح له الفرصة ، او لم يؤاته الجد لتعرف على شعره ، يعتقد الباحث ان من المناسب و اللائق ، تسجيل ما ورد من اغراض شعر صفي الدين و ذلك وفق ما ورد في ديوانه و كما يأتي :

١- في الفخريات و الحماسات و الحض على السيادة :

يؤكد الباحث ان لصفي الدين باعا طويلا في مضمار الفخر و قصائده الكثيرة و الطويلة التي احتواها ديوانه الضخم ، شاهد على ما ذكر ، و لا يسعنا تثبيت كل ما قاله الحلي في الفخر ، و المنطق يقضي تدوين بعض النماذج المختارة .

و اليكم قصيدة (حمر مواضعنا) الشهيرة و قد قالها في صباه مفتخرا بقومه و اخذهم بثأر خاله (صفي الدين بن محاسن) من ال ابي الفضل و ذلك سنة احدى و سبعمائة و هي منقولة من الديوان :

سل الرماح العوالي عن معالينا و استشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

و سائلي العرب و الاتراك ما فعلت في ارض قبر عبيد الله ايدينا

لما سعينا فما رقت عزائمنا عما نروم و لا خابت مساعينا

يا يوم وقعة زوراء العراق و قد دنا الاعادي كما كانوا يدينونا

بضمد ما ربطناها مسومة الا لنغزوا بها من كان يغزونا

و فتية ان نقل اصنعوا مسامعهم لقولنا او دعوناهم اجابونا

قوم اذا استحضوا كانوا فراعنة يوما ، و ان حكموا كانوا قواذينا

تدرعوا العقل جلبابا فات حميت نار الوغى خلتهم فيها مجانينا

اذا ادعو جاءت الدنيا مصدقة و ان دعوا قالت الايام : امينا[١٨]

ان الزرازير لما قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا

ظنت تأتي البزاة الشهب عن جزع و ما درت انه قد كان تهوينا

بيادق ظفرت ايدي الرخاخ بها و لو تركتهم صادوا فرازينا

ذلوا باسيافنا طول الزمان فمذ تحكموا اظهروا احقادهم فينا

لم يغنيهم مالنا عن نهب انفسنا كأنهم في امان من تقاضينا

اخلوا المساجد من اشياخنا و بغوا حتى حملنا فاخلينا الدواميناً

بعد الاستهلال بنموذج الفخر الخالد ، الذي سجله لنا فخر الشعر و الشعراء صفي الدين الحلي ، فلا مندوحة من التعرض لما قيل عن شعره اجمالا :

((اشتهر صفي الدين الحلي شاعرا اكثر منه ناثرا ، و ذلك لوفرة نتاجه الشعري و قلة نتاجه النثري))[١٩]

((ان شعر صفي الدين الحلي صور بعض جوانب عصره ، و لكنه غفل عن وصف هذه الحياة المستبدة الظالمة التي كانت او كافة يحياها ملوك عصر ، و حياة التبذير و السرف

[١٨] - ديوان صفي الدين الحلي ، الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٣٢ .
[١٩] - نوابغ الفكر العربي ، صفي الدين الحلي ، د. محمود رزق سليم ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ص٤٨ .
- انظر ديوان صفي الدين ، دار الارقم ، د. عمر الطباع ، ص٣١ – ٣٢ ص١ .

لقد خلا شعره من النقد السياسي ، و خلا ن النقد الاجتماعي الاصلاحي الذي يصف العادات الضارة و التقاليد الرذيلة في زمانه ، و منها تفشي في دواوين الدولة من سرقات و رشوة و طائفية و ما اجتاح حياة الاسر الفقيرة و المتوسطة من فقر و جهل و مرض و بأس))[٢٠] .

و مع هذا كله يمكن اجمال شعر الحلي في ثلاث مراحل :

الاولى : ابتداء صنعة الشعر : بدأ الصفي منذ صباه ، فحفظ منه ما كان يعجب به من قصائد الشعراء المتقدمين ، مثل المتنبي و ابي تمام و ابي نواس و غيرهم ، فكان يستفيد من النماذج التي يقرأ و يحفظها فيقتبس منها صور و يضمن المعاني و يخمس القصائد .

الثانية : تبدأ بأنتقاله الى ماردين : فاضطر الى مدح ملوك الارتقيين ، و في هذه المرحلة قل تقليده للشعراء ، و لكنه ظهر في شعر التعقيد ، و اول مظاهر نظمه قصائد الارتقيات))[٢١] .

الثالثة :يمتاز شعره في هذه المرحلة بانه مختلف الاوطان ، فشعر في الحجاز و قصيدة في العراق ، و مقطوعات في الشام ، و مطولات في ماردين ، و قد بانت اثار هذا الانتقال بجلاء و وضوح في شعره [٢٢]

لله قاهرة المعز فانها بلد تخصص بالمسرة و الهذا

[٢٠] - نوابغ الفكر العربي ، محمود رزق سليم ، ط٢ ، ص٥٣ .
[٢١] - شعر صفي الحلي ، جواد علوش ، ص١٣٥-١٣٩ .
[٢٢] - شعر صفي الدين ، جواد علوش ، ص١٣٥-١٣٩-١٤٢ .

((و قد جمع الصفي شعره بنفسه في القاهرة ، في بلاط الملك (الناصر بن قلاوون) و قد رتبه حسب موضوعاته ، فجعله في اثني عشر بابا))[٢٣]

الباب الاول : في الفخريات و الحماسات ، الباب الثاني : في المدائح ، الباب الثالث : في الوصف و الطرديات ، الباب الرابع : في الاخوانيات ، الباب الخامس : في المراثي ، الباب السادس : في الغزليات ، الباب السابع : في الخمريات و الزهريات ، الباب الثامن : في الشكوى و العتاب ، الباب التاسع : في الاعتذار و الاستهداء ، الباب العاشر : في الالغاز و الاحجيات ، الباب الحادي عشر : في الاهاجي و الملح و النوادر ، الباب الثاني عشر : في الادب و الزهديات . ((و تذكر كتب التراجم ان صفي الدين الصق بديوانه (درر النحور – بديعيته الكافية – و رسائله)))[٢٤]

و فيما يلي سنورد نموذجا واحدا على الاقل لكل غرض من اغراض شعر الصفي الحلي ليطلع القاريء على شيء مما جاءت به قريحته الفياضة و فيما مضى تنا‌م تسجيل قصيدة من الباب الاول من يوان شعر الحلي في الفخريات و الحماسيات ، لذا فالاولى الانتقال الى الباب الثاني في المدائح (مدح صفي الدين ملوك بني ارتق ، و الناصر بن قلاوون ، و عرفنا انه لم يتخذ المدح وسيلة للكسب و الارتزاق ، و انما مكافأة للممدوح على هبته و مودته ، معانيه هنا مطروق في جملتها كوصفه بالكرم و الشجاعة و ما الى ذلك)[٢٥]

[٢٣] - المصدر نفسه ص١١١ ، و ديوان صفي الدين ، د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ١٩٩٧ ، ط١ ، ص١٧ .
[٢٤] - انظر : صفي الدين الحلي ، محمود سليم .
[٢٥] - نوابغ الفكر العربي ، صفي الدين الحلي ، د. محمود رزق سليم ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ص٦٦ .

(و مدائح الصفي كثيرة و تمتاز بالجودة و الاتقان ، و قد مدح النبي الاكرم (صلى الله عليه و اله و سلم))[٢٦]

قال الحلي يمدح النبي محمد (صلى الله عليه و اله و سلم) و هو بالمدينة المنورة [٢٧] :

كفى البدر حسنا ان يقال نظيرها فيزهى ، و لكنا بذاك نظيرها

و حسب غصون البان ان قوامها يقاس به ميادها و نظيرها

اسيرة حجل مطلقات لحاظها قضى حسينها ان يفك اسيرها

تهيم بها العشاق خلف حجابها فكيف اذا ما ان منها سفورها

و ليس عجيبا ان غررت بنظرة اليها فمن شأن البدور غروره

و كم نظرة قادت الى القلب حسرة يقطع انفاس الحياة زفيرها

فوا عجبا كم نسلب الاسد في الوغى و تسلبنا من اعين الحور حورها

فتور الظبي من القراع يشيبنا و ما يرهق الاجفان الا فنورها

و جذوة حسن في الخدود لهيبها يشب و لكن في القلوب سعيرها

اذا انستها مقلتي خر صاعقا جناني و قال القلب : لادل طورها

ثم يعرج بعد هذه المقدمة التي لم نذكرها كلها الى البدء بمدح الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) و هو قصده من القصيدة حيث قال :

---

[٢٦] - شعر صفي الدين ، جواد علوش ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص١٦٧ .
[٢٧] - ديوان صفي الدين ، ط١ ، ص٧٧ ،-٧٨ ، دار الارقم ، بيروت – لبنان .

غدت تتقاضانا السير لانها الى نحو خير المرسلين مسيرها

ترض الحصى شوقا لمن سبح الحصى لديه و حيا بالسلام بعيرها

الى خير مبعوث الى خير امة الى خير معبود دعاها بشيرها

و من اخمدت مع موضعة نار فارس و زلزل منها عرشها و سريرها

و من نطقت توراة موسى بفضله و جاء به انجيلها و زبورها

و من بشر الله الانام بانه مبشرها عن اذنه و نذيرها

محمد خير المرسلين باسرها و اولها في الفضل و هو اخيرها

ايا اية الله التي مذ تبجلت على خلقه اخفى الظلال ظهورها

عليك سلام الله يا خير مرسل الى امة لولاه دام غرورها

عليك سلام الله يا خير شافع اذا النار ضم الكافرون حصيرها

عليك سلام الله يا من تشرفت به الانس طرا و استتم سرورها

عليك سلام الله يا من تعبدت له الجن و انقادت اليه امورها

وتشرفت الاقدام لما تتابعت اليك خطاها و استمر مريرها

و فاخرت الافواه نور عيوننا بتربك لما قتلته ثغورها

فضائل رامتها الرؤوس فقصدت الم تر للتقصير حزت شعورها

في الوصف و الطرديات : (ربما كان الوصف اوسع ابواب شعر الصفي و فنونه ذلك لانه قائم على حملته على اتقان و جمال اخراجها ، و ذلك باستعمال الاداة البيانية الوصفية في وصف الخمر او منظر طبيعي مثلا – في ، مقدمة مدائحه ، او خلالها غير ان للوصف عنده قصائد مستقله ، اراجيز خاصة)[٢٨] (كان لاهتمام الصفي بالصيد منذ صباه ، ان وجد له شعر كثير فيه – و قد اخر له فصلا خاصا في ديوانه ، و شعر الصيد عنده اما مستمطات او اراجيز)[٢٩] (ذلك الجمال الاخاذ ، و تلك المناظر السحرية الفاتنة اثرت في نفسه و في حبه و في شاعريته ، فقد وصف كل شيء جميل ، و كل ما وقعت عليه عينه ، وصف الطبيعة باشجارها و وديانها و رياضها و ازهارها و اثمارها و نسيمها و اطيرها)[٣٠] ، و قال يصف صيد النعام[٣١] :

و رب يوم ادكن القتام ممتزج الضياء بالظلام

سرنا لقنص الارام و الصبح قد طوح باللثام

كرا قد هب من المنام يضمر طامية الحوامي

معتادة بالكر و الاقدام تحجم ي الحرب عن الاحجام

حتى اذا حان ظهور الجام و البر بالال كبحر طام

---

[٢٨] - نوابغ الفكر ، محمود سليم ، ص٦٨ .
[٢٩] - شعر صفي الدين ، جواد احمد علوش ، ص٢٠٦ .
[٣٠] - المصدر نفسه ، ص٢١٢ .
[٣١] - ديوان صفي الدين ، ص٢٤١ .

عن لنا سرب من النعام مشرقة الاعناق كالاعلام

فاغرة الافواه للهيام كأينق فرت من الزمام

وحش على مثنى من الاقدام بالطير تدعى و هي كالانعام

تطير بالارجل في الموامي كانما اعناقها السوامي

اراقم قد قمن للخصام فحين هم السرب بانهزام

الجمت القس بالسهام فارسل النبل كوبل هام

فعن رال عارض امامي كانما درع بالظلام

نيطت جناحاه بعنق سام كانها من حسن الالتئام

هاء شقيق وصلت بلام عارضته تحت العجاج السامي

بسابق ينقص كالقطامي حلو العنان معتم الحزام

يكاد يلوي حلق اللجام ذي كفل راب و شدق دام

و صفحة ريا و رسغ ضام فجين وافى عارضا قدامي

اثبت في كلكلة سهامي فمرقت في اللجم و العظام

فخر مصروعا على الرغام قد ساقه الخوف الى الحمام

فاعجب الصحب به اهتمامي حتى اغتدى كل من الاقوام

و قال يصف مدينة الحلة [٣٢] :

من لم تر الحلة الف يحاء ملته فانه في انقضاء العمر مغبون

ارض بها سائر الاهوال قد جمعت كما يجمع فيها الضب و النون

ما شانها غير بغي الجاهلين بها كانها جنة فيها شياطين

فالغدر طافحة ، و الريح نافحة و الورق صادحة و الطل موضون

و قال يصف ابريق المدام[٣٣] :

و ابريق له نطق عجيب اذا ما ارسلت منه السلاف

كفأ قاء تلجلج في حديث يردد لفظه و الفاء قاف

و قال يصف فرسا [٣٤] :

و ادهم يقق التحبيل ذي مرح يميس من عجب كالشارب الثمل

مطهم مشرق الاذنين تحسبه موكلا باستراق السمع عن زحل

ركبت منه مطاليل تسير به كواكب تلحق المحمول بالحمل

اذا رميت سهامي فوق صهوته مرت به دية انحطت على الكفل

---

[٣٢] - ديوان صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق الطباع ، ط١ ، ص٢٤٣ .
[٣٣] - المصدر نفسه ، ص٢٤١ .
[٣٤] - ديوان صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق الطباع ، ط١ ، ص٢٤٣ .

في الاخوانيات : (نعني بها اشعاره التي دفعت على نظمها علاقته القلبية باصدقائه و صلاته الودية باخوانه ، و قد امتلأ ديوان الحلي بهذه الاخوانيات (الاخوانيات قديم في الشعر و النثر ، و هناك من يسميه مناجاة الاصدقاء ، و قد ازدهر هذا الفن في القرن الرابع للهجرة ، خاصة في النثر و اهتم به الادباء و الكتاب ، و قد كان الكثير من هؤلاء الكتاب يضمنون رسائلهم الاخوانية شعر الشعراء ، و الصفي يتألف في هذا الشعر ايما تألف فشعره هنا عذب و اسلوبه متدفق ، فهو صادق ، و ليس هناك اي دافع للرياء و التظاهر بما لا يحسن نحوهم)[٣٥]

(قال صفي الدين الحلي و قد راسله الشيخ المهذب محمود بن يحيى النحوي الحلي بقصيدة اولها :

بد العزيز علي انت عزيز و لمجدك التعظيم و التعزيز[٣٦]

من لي بقربك و المزار عزيز طوبى لمن يحظى به و يفوز

فلو استطعت رفعت حالي نحوكم لكن رفع الحال ليس يحوز

يا ايها الشيخ الذي اراؤه حرز لنا في النائبات حريز

عرض العروض فلم ترعك دوائر منه و لم تشك عليك رموز

و كذا اقتفيت من القواني اثرها فاطاعك المقصور و المهموز

- نوابغ الشعر ، محمود سليم ، ص٦٩ .

[٣٥] - شعر صفي الدين الحلي ، جواد علوش ، ص١٨٧-١٨٨ ، بغداد ، ١٩٥٩ .

[٣٦] - ديوان صفي الدين ، ص٤٩ .

و ضربت نحو النمو همة اوحد اضحى لهفي حالة تمييز

و لقد هززت اليك دوح قريحتي مدحا فاينح دوها المهزوز

و سكبت مدحك في بواطق فكرتي اذ في العطف يسبك الابريز

صغت القريض و لم اقله تكلفا لكنه طبع لدي عزيز

اجلو عليك من القرض عرائسا من خدر ابكاري لهن بروز

ابكار افكار تزف كواعبا لا كالعقار تزف و هي عجوز

و كتب رسالة بعثها الى السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة ، و قال في صدرها و هي لزوم ما لا يلزم[٣٧] :

يا سادة حملت من بعدهم اكثر من عهدي و من طوقي

اصبحت كالورقاء في مدحكم لما غدا انعامكم طوقي

ان حواسي الخمس مذ غبتم اليكم في غاية الشوق

تحلون في عيني و سمعي و في لمسي و في شمي و في ذوقي

كذا جهاتي الست من بعدكم مملوءة من لاعج الشوق

خلفي و قدامي و يمناي و اليســ ــرى و من تحتي و من فوقي

[٣٧] - المصدر نفسه ، ص٢٧١ .

في المراثـي : (للصفي الكثير من المراثي الرائعة في رثاء السلاطين و اولادهم و في رثاء اهله و اقاربه و اصدقائه و اخوانه ... و الغريب انه ليس له من مراثي الحسين بن علي (عليهما السلام) ، حتى و لا قصيدة واحدة بالرغم من تغلغل العقيدة الشيعية في نفسه ، و هذا الرثاء خير ما يعتز به الشيعة و يتميزون به)[٣٨] .

و يقول في احد مراثيه – ان الموت لا مفر منه لان القدر لا راد له :

لا تعجبن فما الموت من عجب اذ ذاك حد به الانسان محدود

فالمستفاد من الايام مرتجح و المستعاد من الاعمال مردود

و للمنية اظفار اذا نشبت رأيت العميد و هو معمود

(فهذه الحياة التي عاشها صفي الدين الحلي ، و هذه الصلات المتعددة التي اتصلها اوجبت عليه اداء فريضة الرثاء عند حلولها ، فكان رثاؤه مظهرا نبيلا من مظاهره النفسية و اجزع رثاء له هو رثاء خاليه : صفي الدين بن محاسن الذي قتل غيلة في مسجده و جلال الدين بن محاسن الذي قتل في بعض وقائع اعدائه)[٣٩] .

و قال الحلي يرثي خاله صفي الدين بن محاسن بعد ان قتل غدرا [٤٠] :

انظر الى المجد كيف ينهدم و عروة الملك كيف تنفصم

و اعجب لشهب البزاة كيف غدت تسطو عليها الحداة و الرخم

---

[٣٨] - شعر صفي الدين الحلي ، رسالة ماجستير ، جواد علوش ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص١٨٣ .
- المصدر نفسه ، ص١٨٦ .
[٣٩] - نوابغ الفكر العربي ، د. محمود سليم ، دار المعارف .
[٤٠] - ديوان صفي الدين الحلي ، د. عمر الطباع ، دار الارقم ، ١٩٩٧ ، ص٢٨١ .

و قد كنت اختار ان اغيب في الترب و تبلى عظامي و الرمم

و ارى اليوم من اكابرنا اسدا و فيها الذئاب قد حكموا

ظنوا الولايات ان تدوم لهم فاقتطعوا البلاد و اقتسموا

و اقتدحوا بالوعيد نار الوغى و رب نار وقودها الكلم

لم يعلموا اي جذوة قدحوا و اي امر اليه قد قدموا

بل زعموا ان بصدنا جزع كنت يد الله فوق ما زعموا

لاعرف العز في منازلنا و انكرتنا الصوارم الخذم

ان لم تقدها شعثا مضمرة تذوب من نار حقدها اللجم

بكل ازر في متنه اسد و كل طود من فوقه سئموا

ان زأروا في الهياج تحسبهم اسد عليها من القنا اجم

شوس تظن العدا سهامهم شهبا لها الماردون قد رجموا

صغيرهم لا يعيبه صغر و شيخهم لا يشينه هرم

ففي القضايا ان احكموا اعدلوا و في التقاضي ان حوكموا ظلموا

ان صمتوا كان صمتهم ادبا او نطقوا كان نطقهم حكم

ما عذرنا و السيوف قاطعة و امرنا في العراق منتظم

و حولنا من بني عمومتنا كتائب كالغمام تزدحم

باي عين نرى الانام و قد تحكمت في اسوادنا الغنم

اما ممات و ذكرنا حسن اما حياة و ربعنا حرم

لا شاع ذكري بنظم قافية تلوح حسنا كانها علم

و لاهتدت فكرتي الى درر يشرق من ضوء نورها الكلم

و شل مني يد عوائدها يجول فيها الحسام و القلم

ان لم اخضب ملابسي علقا يصبغ من سيل قطرها القدم

غزل الحلي : (لصفي الدين قصائد في الغزل مستقلة و ابيات و مقطعات و كثير ما قدم الغزل بين يدي المديح في مفتح القصائد على سنة القدماء ، و هو في كل ما نظم في الغزل لم يصدر عن عاطفة اصيلة مشبوبة ، و لا من حب صادق و عميق و انما كان الدافع هو التمرين و القريحة احيانا او الرغبة في التسلية)[٤١]

(في ديوان صفي الدين غزل بالمرأة و غزل بالغلمان على عادة عصره و هو شعر رقيق عذب يمتاز بحلاوة الالفاظ و عذوبة الجرس سهولة المعاني و وضوحها)[٤٢] (و هو لم يبعد عن اساليب الغزليين المتقدمين ، فهو يعبر عن لوعة الفراق و نار الجوى ، يتحدث

[٤١] - نوابغ الفكر العربي ، د. محمود سليم ، ص٦٦ .
[٤٢] - شعر صفي الدين الحلي ، جواد علوش ، ص١٩٢ .

عن ما يتمنى من لقاء الحبيب ، و الغزل عنده يميل الى الاوصاف المادية ، فيصف القامة و الخصر و الردف و الصدر ، و يصف الشعر و الخد و الوجه و العينين)[٤٣]

(و لعل القصيدة نطالعها الان ، ان تكون فريدة الطابع في ديوان شعرنا العربي كله فهي قصيدة تدور كلها حول وصف مجلس انيق استمتع فيه الشاعر حبيبته ، و افتن في تصوير كل ما احاط بهما من مشاهد الطبيعة و السحر و الجمال : الجمال الطبيعي و الجمال الانساني معا ، في عبارة سهلة و خيال محلق ، و موسيقى عذبة متراقصة ، كما تكشف عن عمق عاطفته المشبوبة ، و وجده المبرح ، الذي صهر كبرياء الفارس الشجاع ، و احالها زفرات عاشق مستهام [٤٤] يقول صفي الدين الحلي في قصيدة (مجلس حبيب) ((و كان محبوبه وعده ان يسافر معه عند انتزاحه عن العراق ثم اعتذر ، بما حذره اعدائه ثم كتب اليه من بغداد متغزلا و هو في موسم المحول بمجلس عيسى))[٤٥]

اذاب التبر في كأس اللجين رشا بالراح مخضوب اليدين

رخيم من بني العراب طفل يجاذب خصره جبلي حنين

يبدل نطقه ضادا بدال و يشرك عجمة قافا بعين

يطوف على الرفاق من الحميا و من خمر الرضاب سكرين

اذا يجلو الحميا و المحيا شهدنا الجمع بين النيرين

و اخر من بني الاعراب حفت جيوش الحسن منه بعارضين

---

[٤٣] - المصدر نفسه .
[٤٤] - احلى ٢٠ قصيدة ، فاروق شوشة ، ص١٧٦-١٧٧ .
[٤٥] - ديوان صفي الدين ، ص٣٣١ .

الى عينيه تنسب المنايا كما انتسب الرماح الى ردين

نلاحظ سوسن الخدين منه فيبدلها الحياء بوردتين

و مجلسنا الانيق تضيء فيه اواني الراح من ورق و عين

فاطلقنا فم الابريق فيه و بات الزق مغلول اليدين

في الخمريات و الزهريات : (خمريات صفي الدين ضرب من الوصف قوامه الغزل ، فهو يتخذ الخمر موضعا لغزله فيصنعها انسانة معشوقة ، ملكت نفسه و تيمت قلبه)[٤٦]

(و للصفي الكثير من شعر الخمريات ، و لم يكن هذا الشعر كله تقليدا فقط بل كان معظمه من شعور و احساس) يقول [٤٧] :

ازل بالخمر ادواء الخمار و عاقر صفو عيشك بالعقار

و مجلسنا به ساق صغير يحيينا باقداح كبار

و شاد قد حوى في الخد منه كما في الكأس من ماء و نار

و حضرتنا من الازهر ملأى من الورد المكلل بالبهار

و راح في لجين الكأس تحكي بصفرة لونها لون النصار

---

[٤٦] - نوابغ الفكر العربي ، محمود سليم ، ص١٢٠ .
[٤٧] - شعر صفي الدين ، جواد احمد علوش ، ص١٩٩ .

(فهو لا يشرب الا بمجلس عامر بالمأكل و المشارب و الزينات و الندمان و المطربين و الاصدقاء ، و يحضر هذا المجالس في اماكن متنوعة ، فتارة مع الملوك يسامرهم و يتحدث اليهم فيلتذون بحديثه و يعجون بسعة اطلاعه ، و تارة يشربها في بيته و هو يشربها في مخيم يضربه خارج المدينة كما فعل ذلك في مظاهر ماردين هذا هو الوصف المادي لمجلس الخمر ، اما الوصف المعنوي فنراه يبين اثارها و فعلها في نفس شاربها :

فما هي الا اصل كل مسرة فكم روحت هما و كم فرجت كربا

(و يعجب صفي الدين دائما – و هو الشاعر الوصاف – بمراثي الربيع و مفاتنه ، و تخيل خياله ميدانا حافلا ضروب الاحساس القوية و بالمشاعر الحية ، التي تخلع صفات الانسان على عالم الزهر و الطير و الحيوان [٤٨] و قال في الزهريات و الربيعيات [٤٩] :

ورد الربيع فمرحبا بورده و بنور بهجته و نور وروده

و بحسن منظره و طيب نسيمه و انيق ملبسه و وشي بروده

فصل اذا افتخر الزمان فانه انسان مقلته و بيت قصيده

يغفي المزاج عن العلاج نسيمه باللطف عند هبوبه و ركوده

يا حبذا ازهاره و ثماره و نبات ناجمه و حب حصيده

[٤٨] - نوابغ الفكر العربي ، ص١١٦ .
[٤٩] - ديوان صفي الدين ، د. عمر فاروق ، ص٤٥٣ .

في الشكوى و العتاب و مقاضاة الوعد و الجواب : (اكثر هذا الفن مقطوعات من شعر جيد يعاتب به السلاطين اذا لحقه ضرر و لم يسرعوا لرفعه عنه و يعاتب اصدقاءه اذا ما بدر منهم شيء نحوه ، و يعاتب جيرانه اذا جفوه و لم يزوروه ، يشكوا عدم وفائهم و جفائهم)[٥٠]

لما رأيت بني الزمان و ما بهم خل وفي للشدائد اصطفي

ايقنت ان المستحيل ثلاثة الغول و العنقاء و الخل الوفي

موضوعات اخرى في الهدايا و الاعتذار و الاستعطاف و الاستغفار : قال صفي الدين الحلي :[٥١]

قد قعدتني عنكم مفاصل و ان اقامت في انقطاعي عذري

فصرت من بعد الحراك ساكنا كالباء في القاضي و المستشري

في التقييد و الايجاز : (و قد ازداد التعقيد في هذا العصر و كثرت الصناعات ، فقد شغف بها شاعرنا و برع فيها ، و صار يتلاعب باللغة حيث يشاء ، فقال الشعر الخالي من النقط [٥٢]

كم ساهر حرم لمس الوساد و ما اراه سؤله و مراد

---

[٥٠] - شعر صفي الدين الحلي ، جواد احمد علوش ، ١٩٥٩ ، ص٢٢ .
[٥١] - ديوان صفي الدين الحلي – صفي الدين ، د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٥٠٠ .
[٥٢] - شعر صفي الدين الحلي ، جواد علوش ، ص١٤٨ ، ديوان صفي الدين الحلي ، تقديم : د. عمر فاروق الطباع ، ص٥١ .

ما سهر الوالد معط له وصلا و لو دارم طول السهاد

و هناك ما يقرأ عرضا و طولا ، اي عموديا و افقيا [٥٣]

ليت شعري لك علم من سقامي يا شفائي

لك علم من زفيري و نحولي و ضنائي

من سقامي و نحولي داوني اذا انت دائي

يا ثنائي و ضنائي انت دائي و دوائي

(و قال فيما قيد به بحور العروض عشر تقريبا على بناء اصول الدوائر)[٥٤]

١- الطويل :

الطويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

٢- المديد :

لمديد الشعر عندي صفات فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

٣- البسيط :

ان البسيط لديه يبسط الامل مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

٤- الوافر :

[٥٣] - نوابغ الفكر العربي ، د. محمود رزق سليم ، ط١ ، ص٥٩ .
[٥٤] - ديوان صفي الدين الحلي ، صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ط ، ١٩٩٧ ، ص ٥١٤-٥١٥ .

بحور الشعر وافرها جميل مفاعلتن مفاعلتن فعولن

٥- الكامل :

كمل الجمال من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن

٦- الهزج :

على الامزاج تسهيل مفاعيلن مفاعيل

٧- الرجز :

في ابحر الارجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعل

٨- الرمل :

رمل الابحر يرويه الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

٩- السريع :

بحر سريع ماله ساحل مستفعلن مستفعلن فاعلن

١٠- المنسرح :

منسرح فيه يضرب المثل مستفعلن فاعلاتن مستفعلن

١١- الخفيف :

يا خفيفا خفت به الحركات فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

١٢- المضارع :

تعد المضارعات مفاعيلن فاعلاتن

١٣- المقتضب :

اقتضب كما سألوا فاعلات متفعل

١٤- المجتث :

ان جثت الحركات مستفعلن فاعلاتن

١٥- المتقارب :

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعول

١٦- المحدث :

و يسمى الخبب و الخلع و طرد الخيل فعلن فعلن فعلن فعل

و قال ايضا في تقييد زحاف الشعر الثمانية على ترتيب وقوعها في الابحر :

زحاف الشعر قبض ثم كف بهن الاحرف الاجزاء نقص

و خبن ثم طي ثم عصب و عقل ثم اضمار و وقص

و سائر ما عدا علل طوار لها في الشعر امكنة تخص

في الملح و الهجاء : ((و هو عبارة عن مقطوعات قصيرة نظمها تقليدا للشعراء ، فقد قال انه نظمها بناءا على اقتراح افاضل اصحابه ، و يستعمل في هذا الصور السريعة الخاطفة و الفكاهة العابرة و السخرية اللاذعة))[٥٥] سئل هجاء مغن فقال :

و شاد يشتت شمل الطرب يميت السرور و يحيي الكرب

بوجه يبيد اذا ما بدا و كف تضر اذا ما ضرب

شدا فغدا كل قلب به قليل النصيب كثير النصب

تغنى فعنى قلوب الرفاق و ماس فمس القلوب العطب

١٢- في الادب و الزهديات و نوادر مختلفات :

((و يدعو فيه الى التوبة و عمل الخير و يذكر ان الله تواب رحيم عفو غفور و يوصي بتقوى الله و اطاعة اوامره و التوبة اليه لغفران الذنوب))[٥٦]

تب و تب و ادع ذا الجلال بصدق تجد الله للدعاء سميعا

و لا تخف مع رجاء ربك ذنبا انه يغفر الذنوب جميعا

و هناك شعر الادب و الحكم و ينصح فيه بالتحلي بالاداب الرفيعة و الخلق الكريم[٥٧]

---

[٥٥] - شعر صفي الدين الحلي ، رسالة ماجستير ، جواد احمد علوش ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص٢٢١ .
و كذلك انظر : ديوان صفي الدين الحلي ، صفي الدين الحلي ، د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ، ١٩٩٧ ، ط١ ، ص٥٢٣ .
[٥٦] - شعر صفي الدين ، جواد احمد علوش ، ص٢٢٠ ، و ديوان صفي الدين ، د. عمر الطباع ، ص٥٥٧ .
[٥٧] - المصدر نفسه ، جواد علوش ، ص٢٢١ .... المصدر نفسه ، الديوان ، د. عمر الطباع ، ص٥٤٢ .

عود لسانك قول الخير تنجو به من زلة اللفظ بل من زلة القدم

و احرز كلامك من حل تنادمه ان النديم لشتق من الندم

المبحث الثاني

نثر صفي الدين الحلي :

فيما سبق المحنا الى ان الصفي عرف شاعرا اكثر منه ناثرا و ذلك وفق المعطيات التي اتبعناها من المصادر التي تناولت سيرته و شعره ، و اما لو اشرنا حصرا نحو نثره فيمكن القول ان الصفي له ثلاث رسائل وردت ملحقة في ديوانه ، و لا يعقل ان تكون رسائله تلك كل ذخيرته النثرية قياسا بحياته الخصبة و عقليته الثرة و خصوصا معرفتنا باتصاله ببني الارتق و عرضه لخدماته لانشاء بعض رسائله و قد اظهر ان رسائله الثلاث مقدرة فائقة في الكتابة و الانشاء ، ((و قد نهج فيها المنهج السائد في عصره و هو النهج البديعي المبني على الطريقة الفاضلية * و قصارى هذا المنهج التزام السجع و الجناس و الطباق و الاكثار من التورية و الاستخدام و التلويح للحوادث الشهيرة و اقتباس الايات و تضمين الامثال و مشهور الاقوال و الامعان في التشبيه و الاستعارة ، غير اننا نلاحظ في نثر صفي الدين عدة خصوصيات منها :

أ – ان سجعاته خفيفة قصيرة مقبولة من جملتها يتكون بعضها من موصوف و صفة او مضاف و مضاف اليه ، او نحو ذلك بغير حشو و لا قيود و لا تقديم و لا تأخير مع ان

كتاب عصره وضعوا نظاما للفقرات المسجوعة ، و اثروا اطالة الفقرات التالية على الاولى .

ب- لم يهتم بالتورية و الاستخدام ، مع انهما كانا من دعائم الكتابة في مصر و الشام في زمانه .

ج- انه اكثر احتفالا بالجناس ، و ذلك بالقياس الى فحول كتاب جيله كالشهاب الحلبي و ابن نباته .

د- له خصوصية غريبة ، بدت في شعره اكثر من بدوها في نثره ، تلك هي جنوحه في بعض ما كتب الى التلاعب بالالفاظ و ذلك باستعمالها معجمة منقولة – او مهملة مصفحة مجنسة تجنيسا خطيا او نحو ذلك ، و هو تكلف شديد لا غناء فيه – و من الامثلة على ذلك جناساته الخطية في الرسالة التوءمية ، كقوله يخاطب الملك ناصر : ((و عبده عنده و هم و هم ، و قد وفد مستجيرا مستخيرا حرمه حرمه ، و لذة ولده و رجاله و رحاله و خيله و حيله و نسبه و نشبه و مجالسه)) .

هـ - انه يسوق ابياتا من الشعر بين فقرات نثر مناسبة للسياق .

و – يجنح الى المقدمات و الى الاكثار من الاوصاف و الترادف و هذه خصوصيات في رسائل عصره .

المحنا لصفي الدين ثلاث رسائل طريفة مثبتة في ديوان شعره المطبوع اليك وجازة عن كل منها :

١- **الرسالة المهملة** : صدرت هذه الرسالة بمقدمة يفهم منها ان سبب كتابتها ان الملك الناصر بن قلاوون سلطان مصر ، رتب لصفي الدين مرتبا و اهدى اليه قماشا و جمالا عام (٧٢٣) و هو في طريقه الى الحج – فقطع الوزير (كريم الدين ادراري) مرتب صفي الدين ، فكتب الى السلطان يشكو اليه و يستنجز ما وعد به ، و يستأذن في السفر ، و قد راعى صفي الدين في كتابتها ان تكون جميع حروفها (مهملة) اي غير منقوطة باستثناء تاء التأنيث المربوطة ، و كانه اقتدى فيها بالحريري في خطبته بالمقامة السمرقندية و سميت الرسالة لذلك (المهملة) .

٢- **الرسالة التوأمية** : انشأها صفي الدين عام (٧٠٠) هـ على نمط من انماط المقامات الحريرية ، و كان سبب انشاءها انه جرى ذكر ايات للحريري في مجلس المنصور الارتقي و اولها – زينت زينب بقد يقد) و قيل ان المتأخرين عجزوا عن هذه الصناعة نظما و نثرا ، و كان صفي الدين في ذلك الحين قد وفد الى ماردين ، و اتصل لاول مرة بمجال المنصور و كان حينذاك يطمع بوظيفة كتابية يعيش من مرتبها مدة مقامه بماردين فوجد الفرصة سانحة و ملائمة لعرض بصناعة الادبية و بيان مقدرته الانشائية .

فانشأ الرسالة التوأمية ، فهي من بواكير رسائله بماردين ، و تتألف كما قال – من اربعمائة فقرة نثرا و ثمانين نظما في عشرة ابيات على وزن واحد و وروي واحد في معان شتى و رعى صفي الدين في صياغتها ان تكون على نمط واحد (زينت زينب بقد يقد) يتجانس فيها كل لفظين متجاورين تجانسا خطيا ، لا يكادان يختلفان الا في حركات

الحروف و النقط ، فكأن كل لفظين توأمان لهذا التشابه الشديد لذلك سميت الرسالة (التوأمية) و هذه ان دلت على حذق و مهارة ، فيها تكلف شديد و انصراف صارخ عن جانب المعنى و الفكرة ، جانب اللفظ ، و مثلها لا غناء فيها و لا طائل تحتها .

و اليك من رسالة الدار عن محاورات الفار ، قال في اولها :

((بسم الله الرحمن الرحيم : المملوكة المحرومة المرحومة الموحشة بعد الايناس دار بن الدكناس تقبل الارض بين يدي القلعة الشريفة و الذروة المنيفة الغزيرة الثناء سيدة القلاع و واسطة عقد البقاع و انسان عين اليفاع التي قلائدها النجوم و مطارفها الغيوم و قرطاها الفرقدان و قلباها السماكان و نطقها الجوزاء و عجولها العواء و فرقها المجرة و نثر اكليلها الاكليل و النثرة حصن النجباء و كهف الغرباء و كعبة الادباء و القلعة الشهباء شيد الله مبانيها و ايد ساكنيها و خلد ملك مالكيها الذي ثبت اساسها و صانها و ساسها و توج رأسها و لا زالت قودة للاعداء قيودا و صيد الملوك لها صيودا .

الصالح الملك الذي صلحت به رتب الفخار و لاح طالع سعده

ملك هوى رتب الفخار بسعيه و الملك ارثا عن ابيه وجده

و في الخاتمة قدمت الدار رجاءها الى القلعة الضارعة ، ان تعيد الى ساكنها امواله شاكرة لها طائعة))[٥٨]

[٥٨] - نوابغ الفكر العربي ، محمود رزق سليم ، ص٨٦ .

اثار صفي الدين الحلي :

ترك الصفي بعض الاثار الادبية و هي على شقين :

أ- مؤلفاته : ذكر جورجي زيدان في كتابه (تاريخ اداب اللغة العربية)[٥٩] و بروكلمان في معجمه ، ان الصفي له مؤلفات عدة و هي :

١-العاطل الحالي و المرخص الغالي في الزجل و المواليا و الكان و القوما ، و منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ، و به بعض رسائله وحديث عن الزجل .

٢-وصف الصيد بالبندق و اسمه (الخدمة الجلية) و فيه يصف هذا الضرب في الصيد .

٣-(الاغلاطي) و هو معجم للاغلاط اللغوية .

٤-ديوان (صفوة الشعراء و خلاصة البلغاء) و لعله مختارات شعرية .

٥- (النتائج الا لاهية) و هو كتاب شرح فيه بديعيته – (الدر النفيس في اجناس التجنيس [٦٠] و لم يعثر على الكتب الاربعة الاولى اثر ، اما الكتابان الاخران فاليك وجازة عن كل منهما :

١- النتائج الا لاهية : و هو شرح وجيز سهل لانواع البديع لا غموض فيه ، بريء من كثير من عبارات البلاغيين و مصطلحاتهم الخشنة ، و قد نظم الصفي قصيدة بديعية في مدح الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم)و ه تحتوي على مائة و واحد و خمسين نوعا بديعيا و بعضها من ابتكاره .

[٥٩] - تاريخ اداب اللغة العربية ، ج٣ ، تأليف جورجي زيدان .
[٦٠] - السنة التاسعة ٢٣٥٨ الاثنين ٢٠٠٥/١٠/٣١ صحيفة spaper من al-vefagh

٢-(الدرر النفيس في اجناس التجنيس) : هذا الكتاب يقع في صفحات قليلة تحدث فيه صفي الدين عن انواع التجنيس و مثل لها ، و هو لا يخرج في حديثه و تمثيله عن المتداول في كتب البديع .

الخاتمــة

شاعر العراق الكبير صفي الدين الحلي ولد في مدينة الحلة سنة ٦٧٧هـ و توفي في بغداد سنة ٧٥٠هـ بإجماع كل من ترجم له و كتب عنه من المتقدمين و المتأخرين كجمال الدين ابي المحاسن بن تغري في (النجوم الزاهرة و المنهل الصافي) و صلاح الدين الصفدي ، و غيرهم .

و اسمه عبد العزيز بن سرايا السنبس الطائي ظهرت عليه ايات النبوغ منذ نعومة اظافره و كان ربيب عز و غنى ، لانه ينتمي لاسرة كريمة ذات جاه و قد تعلم الفروسية و تدرب على صيد الحيوانات فكان يجيد الرماية بالسهام و البندقية كذلك .

و حظي بثقافة عالية منذ عقوده الاولى من سني عمره الطويل فدرس بعض العلوم الدينية كالفقه و التفسير و الحديث و حفظ شيئا من القران الكريم كما تعلم بعض العلوم الاخرى كالتاريخ و اخبار العرب و ايامهم و تعلم علوم العربية كالنحو و الصرف و البيان و العروض و مال الى قرض الشعر فاجاد في نظمه لكن نعيم الحياة لم يدم طويلا ، فحصلت امور في الحلة كدرت عليه صفو عيشه و لما كانت لاسرته الرياسة فيها ، فمن الطبيعي

ان لا تعدم من ينافسها عليها و كان خاله صفي الدين بن حمزة بن محاسن (صدرا) للمدينة ... و قد استطاع خصومه و حساده ال ابي الفضل التآمر عليه و قتله .

فالى الصفي ان يأخذ بثاره ، و عقب معركة الزوراء الشهيرة التي سجل وقائعها في شعره و اضطر لمغادرة مسقط رأسه متوجها الى ماردين سنة ٧٠٠هـ و هناك لقي الصفي من ملوكها ال ارتق التركماني كل حفاوة و تكريم ، فمدحهم بقصائد طوال من عيون شعره ، و كان يحضر مجالس انسهم فيصفها بارق و اجمل اشعاره و كان الحلي يشتغل بالتجارة فسافر الى الحجاز و ادى فريضة الحج ، و زار قبر الرسول الكريم محمد بن عبد الله (عليه و على اله افضل الصلاة و السلام) فمدحه بقصيدة طويلة و رائعة بلغت تسعين بيتا من الشعر و من الحجاز توجه الى مصر فالتقى ملكها الناصر بن قلاوون الذي اشار عليه ان يجد مع ديوان شعره في بلاطه و قد فعل .

و في مصر كان له اصدقاء كثيرون منهم (جمال الدين بن نباته المصري) و الاديب و المؤرخ صلاح الدين الصفدي و القاضي علاء الدين بن الاثير .

و قد خلف الحلي تراثا ادبيا خالدا اكثره شعرا ابرزه ديوانه الضخم الذي حوى شعرا جميلا و رقيقا طرق فيه كل ابواب الشعر من حماسة و مدح و رثاء و اخوانيات و غزل وخمريات ، و وصف و طرديات و طرق ايضا فنونا اخرى مستحدثة كالموشح الذي اجاد فيه و ابدع و اخترع فنا جديدا من الموشح اسماه (المضمن) كما لم تفته الفنون الشعرية العامية (كالزجل) و (الموالي) و (الكان و كان) و (القوما) و قد نظم فيها نماذج لم تخرج من السياقات العامةالمتعارف عليها وقت ذاك و ذكر في كتابه (العاطل الحالي)

شيئا من الفنون و للصفي الحلي ديوان شعر اخر اسماه (الدرر في مدائح الملك المنصور) و هو ديوان صغير و شهير فقد تضمن تسعا و تسعون قصيدة نظمها مرتبة على حروف الهجاء و كل قصيدة (تسعة و عشرون بيتا) و كل بيت منها يبدأ بالحرف الروي نفسه .

و شعر هذا الديوان جميل الا انه لا يخلو من التكلف .

و لصفي الدين قصيدة مهمة اسمها البديعية ، مدح بها النبي المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله و سلم) و قد نظمها على وزن و قافية بردة البوصيري و ضمنها انواع البديع فجعل كل بيت نوعا او نوعين منه و تعداده ١٤٥ بيتا تشمل ١٥١ نوعا من انواع البديع .

و قد مر شعر الصفي بثلاث مراحل :

الاولى : تمثل باكورة تكوينه الشعري و فيها ظهر تليده واضحا لمن سبقه من كبار الشعراء .

و الثانية : ظهر فيها شيء من التعقيد و الصناعة على خلاف المرحلة السابقة و شعر هذه المرحلة نظمه في ماردين .

و اما الثالثة : فقال في اشعاره ابان تنقله في البلدان بسبب تعاطيه التجارة في العراق و مصر و ماردين و الشام و الحجاز .

و قد تزايد شغفه بالصناعة حتى اصبح همه ترصيع شعره بانواع التجنيس و المطابقة و الاستعارات و التشبيهات و نظم القصائد المعجمة و المهملة و نظم في الاحاجي و الجناس و الجنح ، و يمتاز شعره في جميع اطواره بكثرة الصناعات البديعية اما نثر بن سرايا

فقليل جدا اذا ما قورن بعطائه الشعري الثر ، فله ثلاث رسائل ملحقة ببعض طبعات ديوانه ، و قد اظهر مقدرة فائقة من الكتابة و الانشاء تضاهي تمكنه من الشعر ، و قد نهج فيها المنهج السائد في عصره و هو النهج البديعي المبني على الطريقة الفاضلية ، كالتزام السجع و الجناس و التضمين و الاقتباس و غير ذلك و رسائله تلك هي :

١- الرسالة المهملة : و هي شكاية الى الملك الناصر بن قلاوون و قد راعى في كتابتها ان تكون جميع حروفها (مهملة) اي غير منقوطة ، باستثناء تاء التأنيث المربوطة .

٢- الرسالة التوأمية : انشأها عام ٧٠٠هـ على نمط من انماط المقامات الحريرية و كان سبب انشاءها انه جرى ذكر ابيات للحريري في مجلس المنصور الارتقي و اولها (زينت زينب بقد يقد) و قد ابدى فيها مقدرة على الانشاء ، نالت رضى الملك ، و هي من بواكير رسائله بماردين و تتألف – كما قال – من اربعمائة فقرة نثرا ، و ثمانين نظما و يتجانس فيها كل لفظين متجاورين تجانسا خطيا لا يكادان يختلفان الا في حركات الحروف و النقط و لذلك سميت الرسالة التوأمية .

٣- رسالة الدار عن محاورات الفار : و هي رسالة او – مقامة – طريفة جدا كتبها عبد العزيز الطائي على لسان دار سكنها بماردين و تعرف (بدار بن الدكناس) و فيها تشكو الدار الى (القلعة الشهباء) مقر الملك الصالح الارتقي ان احد نوابه كان عليه للصفي دين و كان عليه ايضا لبعض اصدقائه دين اخر اخذه على يده و اخرج الدينين على مصالح الدولة ، و ماطل في الدفع فعرض الصفي شكا للملك الصالح على لسان داره ، فلما اطلع الملك عليها نالت اعجابه ، و امر له بمال من خزانته .

المصادر و المراجع

١- احلى ٢٠قصيدة حب ، فاروق شوشة ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م .

٢- الدرر الكامنة ، ابن حجر العسقلاني .

٣- العاطل الحالي ، من كتاب شعر صفي الدين الحلي ، جواد علوش .

٤- تاريخ اداب اللغة العربية ، ج٣ ، جورجي زيدان .

٥- ديوان صفي الدين الحلي ، صفي الدين الحلي ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٢م .

٦- ديوان صفي الدين الحلي ، صفي الدين الحلي ، تقديم : د. عمر فاروق الطباع ، ط١ ، دار الارقم بن ابي الارقم .

٧- شعر صفي الدين الحلي ، جواد احمد علوش ، ط١ ، بغداد ، مكتبة المعارف ، ١٩٥٩م .

٨- مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ابي الفضل احمد بن الحسين بن يحيى ، قدم لها و شرح غرضها امام العلامة الشيخ محمد عبده ، طبعة جديدة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٩- نوابغ الفكر العربي ، د. محمود رزق سليم ، دار المعارف بمصر ، ط٢ .

١٠- صحيفة al- vofagh news paper السنة التاسعة ، العدد ٢٣٨٥ ، الاثنين ٢٠٠٥/١٠/٣١م .

١١- www.al-shia-com = shorara did = php / index l ara / html/ 21k .